

خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٤ من ذي القعدة ١٤٣٥ هـ / ١٩ من أيلول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلّ ولا قلّ ولا ملّ ولا ذلّ ولا اختلّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى رحمته في محكم التنزيل: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان، فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن؛ فله الجنة).

معاشر الإخوة: قرأت كلمة لأحد علماء الأزهر رحمه الله يقول فيها: "كنت في ملتقى الفكر الإسلامي عندما تحدث السفير الألماني عن الإسلام، وقال للحاضرين: يجب أن تصححوا أوضاع المرأة عندكم، فإن صورة المرأة المسلمة تُنفر الأوربيين من الدخول في الإسلام، قال لي أحد المستمعين: ماذا نفعل؟ فقلت له: عندما يعرض التاجر سلعته فيضفي عليها صفات ليست لها فإنه يكون غشاشاً،

وعندما يعرضها وهو غير خبير بخواصها فتبدو للناس دون مستواها فإنه يكون مُغفلاً، وسيظلم بضاعته ويجر عليها الكساد، فالسفير الألماني بعدما شرح الله صدره

للإسلام قال للمسلمين: أحسنوا عرض دينكم، ولا تصدوا الآخرين عنه بسوء الفهم وسوء العمل".

معاشر الإخوة: إن بعض المسلمين مع الأسف يعرضون دينهم مُزوراً ذميمة الوجه، ثم يذمون الناس لأنهم رفضوه، فهؤلاء فتانون مزيفون للحقيقة التي صدح بها صاحب الرسالة، صاحب الرسالة الخاتمة مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، ويُريد هؤلاء الفتانون المزيفون أن يُعطوا صورة عن المرأة المسلمة بأنها ليس لها دور ثقافي ولا سياسي، ولا دخل لها في برامج التربية ولا نظم المجتمع، ولا مكان لها في صفوف المساجد ولا ميادين الجهاد، ذكر اسمها عيب، رؤية وجهها حرام، صوتها عورة، وصفتها الأولى والأخيرة إعداد الطعام والفرش.

إن الإسلام سوى بين المرأة والرجل في جملة من الحقوق والواجبات، وإذا كانت هناك فروق معدودة فاحتراماً لأصل الفطرة الإنسانية وما بينى عليها من تفاوت الوظائف، وإلا فالأساس قوله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧-٩٨].

إن هناك بعض التقاليد صنعها الناس ولم يصنعها رب الناس دحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة، واستبقت في معاملاتها ظلمات الجاهلية الأولى، وأبت أعمال التعاليم الإسلام الجديدة، فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية، ومال ميزان الأمة كلها، مع التذليل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها الذي شاع في كثير من البلاد العربية والإسلامية.

إن الذي يتدبر القرآن الكريم يحس المساواة العامة في الإنسانية بين الذكور والإناث، وأنه إذا أعطى الرجل حقاً أكثر فلقاء واجب أثقل لا تفضيل طائل، وقوامة الرجل في البيت لا تعني ضياع المساواة الأصلية كما أن طاعة الشعب للحاكم لا تعني الطغيان والإذلال، فإن التنظيم الاجتماعي له مقتضياته الطبيعية، ولا مكان للشطط

في تفسيره، بل جعل الإسلام الجنسين شركاء في النهوض بالمجتمع نحو الفضيلة والهداية، قال ﷺ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] هذه رابطة ولاية ووافق بين الجنسين على مناصرة الحق ومخاصمة الباطل، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله رابطة ولاية يتحول بها المجتمع كله إلى خلية ناشطة لها منهج وغاية، وقد ثبت تاريخياً أن المرأة في ظل الإسلام وصلت إلى أسنى درجات العلم والثقافة، ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم في العصور الإسلامية الأولى، فكان من النساء المسلمات الكاتبة والشاعرة، كأمثال عُليّة بنت المهدي، وولادة بنت الخليفة المستهدي بالله، وكان منهن الطبيبة، كأمثال زينب طيبة بنتي أوس التي عُرفت بعلاج أمراض العيون، وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجاني، وقد كانت طبيبة بارزة في علم الطب، وكان منهنّ المحدثات، كأمثال كريمة النروجية، والسيدة نفيسة بنت محمد، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين أستاذاً، وبلغت كثيرات منهن منزلة علمية رفيعة، فكان منهن الأستاذات والمدرسات للإمام الشافعي والبخاري وابن خلكان وابن حيان، وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين، وهذا أكبر دليل على ما تمتاز به المرأة من العناية بالعلم والنبوغ الفكري والثقافة الإسلامية المتنوعة.

إن تاريخنا -يا سادة- مليء بالعابرة والعلماء في كل ميدان، إن تاريخنا مليء بالعظماء في كل ميدان، غير أننا مُوكلون بطي محاسنهم، ولولا أن هؤلاء العظماء تركوا من المواريث الحية ما بدد أكوام التراب التي أُهملت عليهم؛ لجر عليهم النسيان أذياله منذ زمن بعيد، المؤسف -يا سادة- أن هذه العلة النفسية تفشو بيننا نحن العرب، لقد ألف في نابليون نحو مائة كتاب، فكم ألف في خالد بن الوليد، أو في صلاح الدين، ونابليون رجل حرب فحسب، يغدر ويظلم في أحيان كثيرة، وهو من

الناحية الخلقية والعسكرية دون خالد بمراحل، ومع ذلك فإن قومه جَسَّمُوا ميزاتِهِ، وأهالوا التراب على رذائله، فما يذكر إلا بأنه العبقري المهيب، فلم نحاول نحن إطفاء الآخرين؟ فلم نُحاول إطفاء الآخرين، في الوقت أن الله سبحانه وزع جمال الفكر والأداء والخلق والسلوك على كثيرين، وينبغي أن نستفيد من مواهب الله عند خلقه.

كنت أقرأ عن السيدة الفاضلة الجزائرية "فاطمة السومرية" التي قادت جيشاً من أشجع الشباب وهزمت عدداً من الجنرالات الفرنسيين في معارك ضارية، واستغربتُ لأن اسمها - وإن ذكر باحترام كبير - يطوى على عجل.

إن الفرنسيين يعدون "جانداك" قسيصة، ويسبقون اسمها بين أكابر العلماء، ولا يستحون من إبداء الاحترام العميق لذكراها، بينما يعدها الإنكليز الذين حاكموها وأعدموها ساحرة مشعوذة، هل تعلم - أيها العربي - أنه وبعد انهزام ألمانيا في الحرب العالمية الثانية قُتل من الرجال والجنود الألمان أكثر من خمسة عشر مليون، واعتقل تسعة ملايين، فلم يَبق في البلاد غير النساء، حيث ورغم كل الدمار لم تفقد النساء الأمل، وبدأن بجمع الأنقاض وإعادة البناء في غياب تام للحكومة، فعادت ألمانيا من جديد، وأصبحت تتصدر الساحة الدولية بفضل نساؤها.

إن من المحزن أن يَنقل ازدراء الأنوثة من تقاليد الجاهلية في العرب والصعاليك إلى المجتمع الإسلامي، ويظهر هذا الازدراء في أحوال وأفكار وأخلاق تشيع بين الناس وكأنها تعاليم دين، فلقد حُرِفَ كَلم عن موضعه، وأولت نصوص، وضُعب صحيح، وصُحح ضعيف، لا لشيء إلا لغمط الأنوثة، ونحن نكاد نجزم أن سوء التربية في قرون مضت إلى يوم الناس هذا يرجع إلى جهالة النساء وعجزهن إلا عن الوظائف الحيوانية، والحق أن الإسلام متهم بإهانة المرأة واستضعافها، فهل في كتاب الله - يا سادة - وسنة رسوله ﷺ ما يبعث على التهمة؟ القرآن بين أيدينا لم يتغير منه حرف،

وهو قاطع في أن الإنسانية تطير بجناحين هما الرجل والمرأة معاً، وأن انكسار أحد الجناحين يعني التوقف والهبوط.

إن مصاب الإسلام في المتحدثين عنه لا بالأحاديث نفسها، ألا تستغرب -أيها المسلم، أيها العاقل، أيها العربي- ألا تستغرب عندما تجد التنظيم الإرهابي "داعش" يقتل في دير الزور طيبة الأسنان لأنها داوت رجلاً، فقتلها تحت ذريعة أنها ارتكبت فاحشة؟ هل تعلم -أيها المسلم- أن المرأة اليهودية تُشارك مديناً وعسكرياً في قيام دولة إسرائيل، وظلت تزحف حتى وصلت إلى البيت الأبيض، لكي تضع اللمسات الأخيرة للإجهاز علينا، كأمثال "رايس" و"ليفني" و"هيلاري كلينتون" وغيرهن من الحاققات على العرب والمسلمين، في الوقت الذي نرى فيه -مع الأسف- أذعياء التدين يعملون على قوقعة المرأة ضمن نطاق معين، إننا نموت قبل أن يحكم علينا غيرنا بالموت، هذا الفكر الذي نراه اليوم عمّ الشرق والغرب، عم الكرة الأرضية بأسرها، هذا الفكر الظلامي الذي أعطى للعالم بأسره صورة عن المرأة المسلمة أنها مُحَرَّم عليها كل شيء إلا جهاد النكاح، هذا هو الفكر الذي جاء به التنظيم الإرهابي "داعش"، لكي يعطي للعالم بأسره صورة أن المرأة المسلمة والمرأة العربية بشكل عام لا تصلح لشيء إلا لجهاد النكاح، فهل عرفت -أيها المسلم- أن المرأة لها الأثر الكبير في صنع الحضارات وفي بناء الإنسان؟ هل عرفت -أيها المسلم- أن المرأة كانت تنصدر أعظم مجالس العلم والدروس، وكانت تصنع أمة بذاتها، أمة قائمة على العلم والأخلاق والحضارة؟ كيف لا وقد قال الشاعر:

والأم مدرسة إذا أعددتها *** أعددت شعباً طيب الأعراق
الحرب التي شنت علينا -أعني الوطن العربي بأسره- غايتها ضرب الإسلام، وبالأمس سمعنا "تنتياهو" هذا الصعلوك القذر، سمعناه عندما ذهب يطمئن على

جرحاه المرتزقة الذين أرسلهم إلى سورية، والذين يمولهم بمال صهيوني، بمال أمريكي، بمال قطري سعودي تركي، رأيناه كيف يقول لهم: لا تخافوا، ووجهتكم أنتم دمشق،

وفي عمق دمشق، يقول للمستوطنين في فلسطين وفي القدس حصراً: لا تخافوا، أنتم في أمان، لأن الإرهابيين وجهتهم ليست للقدس، إنما وجهتهم دمشق، وفي عمق دمشق. في الوقت الذي ظهر أستاذه من قبل "أوباما" يشكر الكونجرس الأمريكي على تقديمه مساعدات للمعارضة المسلحة السورية كما يدّعي، ونحن في سورية لا نعترف بمعارضة مُسلحة، نحن نعتقد أن كل من حمل السلاح وقتل أبناء الوطن ودمر الوطن هو صُهيوني بحت، عَلِمَ أم جهل، كل من حمل السلاح علينا فهو صهيوني، كل من قتل أبنائنا فهو صهيوني، كل من أفقد أمننا واستقرارنا فهو صهيوني، "أوباما" يشكر الكونجرس الأمريكي -مجلس الشيوخ- على موافقته لأنه قدّم مُساعدةً للمعارضة المسلحة في سورية.

هل تدري -أيها السوري- أن غاية أمريكا أن تدخل إلى سورية، وهي فشلت بها من قبل عندما دخلت العراق، كان مُحطّطهم أن يدخلوا إلى سورية، لكنهم صُدِّمُوا في العراق، وجدوا الرجال الأشاوس قد صنعوا المعجزات على أرض العراق، شعبنا وأهلنا في العراق قاوموا الأمريكيين مقاومة شرسة، حتى خرج الأمريكيون وعلى رأسهم "بوش" يَجْرُونَ ورائهم أذيال الذل والعار، فوقفوا يُفكرون مَلِيّاً، كيف يدخلون إلى سورية، فصنعوا "داعش" وهم اعترفوا بذلك من أجل دمار سورية، ولكي تَمْتد دولة إسرائيل التي تقول: "حدود إسرائيل من الفرات إلى النيل" وضربوا الإسلام باسم الإسلام. "داعش" و "فاحش" وغيرها من المسميات الفارغة وظيفتها -يا سادة- دمار الإسلام وقتله، وإذا قرأت وتفكرت في التاريخ منذ أن هُدم البُرجان في "نيويورك" والذين هدمهم هم اليهود، وأكبر دليل على ذلك أن خمسة آلاف من الموظفين اليهود لم يكن واحد منهم يتواجد أثناء سقوط وانحيار البرجين، من الذي دمرهم؟ هم اليهود فعلوا ذلك لكي تتخذ أمريكا ذريعة لاحتلال أفغانستان، وضربت أمريكا أفغانستان، وجعلت لها قاعدة قوية متينة، لمساعدة قاعدة أمريكية زرعتها في مملكة العربية السعودية، أكبر قاعدة أمريكية في منطقة الشرق الأوسط،

ولكي تزحف بعدها إلى دمشق، لكنها وجدت دمشق صخرة صلبة صماء، لا يمكن أن تنكسر أو تُحترق.

نعم "أوباما"، لا تظن نفسك أبداً أنك تستطيع في يوم من الأيام من خلال مُرتزقتك من خلال الذعران من خلال المتصهينين أن تسيطر على دمشق، أو أن تأخذ شبراً من الأراضي السورية، لا تظن ذلك أبداً، فإذا كنت تظن ذلك فأنت مُغفَّل وأحمق، وأعد السياسة لنفسك، وأعد سياسة البيت الأبيض من جديد، فإنك تجهل السياسات الداخلية والخارجية.

أما أنتم أيها العرب، أما أنتم أيها السوريون، فأدركوا وينبغي أن تُدركوا أن الحرب الشرسة غايتها استنزاف قدرات الشعب، استنزاف قُدرات هذا الوطن، حتى يعود إلى العصر الحجري، كما حُطط له آل سُعود.

أيها السوريون، يا إخواننا، يا أهلنا، يا أبناءنا، إنني أناشد كل سوري حر، كُل سوري في عروقه ودمه تجري العروبة، وأخاطب كل سوري يَعرف رب العالمين: أن يعود بحق وصدق إلى حِضن الوطن، أن يعود إلى بناء الوطن، أن يعود إلى التماسك مع أبناء الوطن، فإن الأمريكيين وبني صهيون ومن يدور في فلکهم يُخططون لقتلنا جميعاً، هذه حقيقة يَنبغي أن ندركها وأن لا نغفل عنها، وإذا كنا من المغفلين سيأتينا الموت من حيث ندري أو من حيث لا ندري، ونحن لا نخاف من الموت، لأن الموت حق، ولا يموت الإنسان إلا في أجله، كيف لا وقد قال المولى ﷺ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] لكننا نخاف من ضياع الأوطان ومن ضياع العرض والكرامة، وطننا كرامتنا وشرفنا، وفيه عزنا وفخارنا، وينبغي علينا أن ندرك وأن نتيقظ لما يُحَاك لنا من مؤامرات خبيثة غايتها دمار البلاد ولو بعد حين، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع

وهو شهيد.

الخطبة الثانية:٢

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن والاستقرار إلى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم مُعيناً وناصرأً، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مَدِينَةُ رِيفِ قَاوَمِ مَشِيقَا